



لسر ارفع درج

## هل قرّض العلم أركان الفلسفة؟

قيود الذهب المادي

هل يستطيع التوفيق بين طرق العلم ومذاهب الفلسفة

لقد بذلت ماع كثيرة للتوفيق بين الفلسفة والمكتشفات العلمية الحديثة . ف الرجال العُلم الذين يخالون الكشف عن أسرار الوجود حلّتهم مباحثهم على أن ينظروا إليه نظراً ميكانيكيًّا مادياً لظاهرهم أن الرأي الميكانيكي قد يكون كاملاً في ذاته أو قريباً من الكمال . ومع أنهم تقدمو تقدماً كبيراً في هذه الناحية من البحث زادهم خفقاً قليلاً من سرعتهم عند ما بدت لهم ظاهرات الوجود والأدراك والنقل تطلب تمهيلًا . فما ذلك طائفة منهم إلى الرب في سكينة الاختبار من تغير الكون تغيراً صحيحاً متسائلين هل مذاهبنا السليمة إلا أساساً سهلاً لترتيب الحقائق المعروفة وتنظيمها ؟ غير أنَّه صعب عليهم أن يوافقوا بين النظر الفلسفي الكالي الذي على التأمل العقلي وبين مقرّرات العلم المعاصرة قياساً وقيمة . كذلك وجدوا صورة كبيرة في انتلـيف بين النظر الفلسفـي والرأي القائل إنَّ الكون آلة أو توبـانـيكـة متصلة بالأجراء، متـنظـتها تـكـنـى هـنـها بـنـفـسـها وـأنـ الـظـاهـرـاتـ الـقـلـيلـةـ مـطـيرـ وهي خـارـجيـ لا تـعـدـوـ أـنـ تـبـعـدـ أـنـتـجـعـةـ لـلـفـاعـلـ المـعـدـ بـنـ الدـقـيقـ المـادـيـ . إنـ زـمـنـ «ـالـهـ وـالـمـلـولـ» قد اتفقـى في نـظـرـهـ وـيـجـبـ انـ بـحـلـ عـمـلـهـ نـظـرـ عـجـرـدـ إـلـىـ تـابـعـ الـأـفـاعـ الـطـبـيـةـ . وـانـ تـكـيـفـ الـتـابـعـ الـلـوـسـيـةـ وـالـجـسـمـ لـيـتـهـ أـمـاـهـ هوـ تـبـعـةـ لـاـحـوـالـ الـحـيـاةـ وـالـزـرـاثـةـ وـلـاـ يـدـلـ دـلـالـةـ تـابـتـ عـلـىـ وـجـودـ غـايـةـ اوـ نـظـامـ . لـانـهـ وـانـ اـعـتـرـفـ لـلـفـكـرـوـرـ بـحـقـيـقـةـ الشـوـهـ اـمـكـنـ توـفـيرـ الـادـلـةـ عـلـىـ أـنـ كـلـ مـاـ زـارـهـ أـمـاـهـ هوـ تـبـيـنـ اوـ تـكـيـفـ لـاـ مـنـدوـحةـ عـنـهـ يـقـعـ وـفـقاـ لـمـقـضـيـاتـ الـيـةـ منـ غـيرـ انـ يـبـدـ زـيـادةـ فيـ قـيـمـةـ الشـوـهـ تـوـصـلـاـ إـلـىـ غـاـيـةـ سـيـنـةـ ويـقـولـونـ كـذـكـ انـ مـاـ نـدـرـسـهـ بـالـعـلـمـ هـوـ اـشـيـاءـ بـسـطـاعـ قـيـاسـهاـ وـوـزـنـهاـ وـفـيـ اـمـكـانـاـ انـ لـضـعـ هـاـ نـاوـيـسـ كـيـنـةـ دـيـقـةـ . وـرـجـاـزـنـاـ اـنـهـ كـلـاـ تـقـدـمـ الـلـمـ تـمـكـنـ منـ اـنـ تـحـوـلـ كـلـ شـيـءـ رـوـيدـاـ رـوـيدـاـ ، إـلـىـ تـابـعـ مـيـكـانـيـكـيـ حـتـومـ يـثـلـ فـيـلـ جـسـمـ مـادـيـ فـيـ آـخـرـ ، عـلـىـ طـرـيـقـةـ نـظـامـ نـيـوتـنـ الـفـلـكـيـ

هذا من جهة، ومن جهة اخري نجد فريق المفكرون الذين يستوقفهم اساس الكون المعنى الكالى قبل كل شيء . الله يعذر عليهم أن يدركونا تفاصيل الحياة والعقل مع الماده وان يفهموا مني النظام اني كاتب الملادي من الوجهة المقابلة الصحيحة . فكان هناك اختلافاً بين ضدتين متافرن لا يمكن حلته . والقول بان النشوء فعل او تواتر يكى لا معنى له ولا نظام تبرئ عنه معتقدات جهور كغير من الناس السذاج الذين يصنون لوحى بهم . فاذا تعذر التوفيق بين المذهبين تعرض هؤلاء خطأ منهم الى ان يخلوا عن حقيقة النشوء ذاتها مع توافر الادلة على ثبوتها

وهذا الموقف الاخير ، كيما قلّتُ موقف عقيم

غير ان هذه الصعوبة دعت البعض الى الشك في شهادة الاختبار ، وحملهم على اعتناق فلسفة دينية صوفية تترك كل المظاهر الطبيعية من غير تمثيل . كان حفائق الطبيعة وروح الانسان على طرق تقيض . فذلك نرى دعوة الرأى الواحد يجاهدون دعوة الرأى المنافقين .  
فالذين يرون ان « الله والمسلول » ليسا سوى تابع زمي ولا يجدون في النشوء سوى تأثير مترتب يقفنون في جهة واحدة . ائم تقدموا تقدماً عظيماً في بيدان بعثتهم ولكتبهم يبالغون في النسب الى ان يحسبوا النظر الكالى نظراً خاطئاً غير جدير بالعلم وبالطرق الطبيعية . فالمقياس في رأيهم وكل ما لا يستطيع عحريبه ( او لا يجدون عليه امكان هذا التحويل ) الى قراءعد رياضية مبنية على القياس غير جدير بالنظر

هذا المذهب الذي يستثنى اكثراً علماء الطبيعة والرياضيات هو ثمرة طبيعة للاتصالات السلكية الباهرة التي احرزوها في هذا العيدان من ميادين المعرفة الانسانية . وقد بدأ يتصل ازدهر بناء الحياة ، فيها يطمحون اليه من المذاهب . وفي بعض رسائل يوثقون التي يبطئ فيها ان غاية العلم المانيا هي انسنة الظاهرات الكونية الى تفاصيل القرى بين المذاهب ما يدعم هذا الرأى . ولكن يجب ان نذكر انه مهما يكن الرأى الذي يستثنى علماء الرياضيات في هذا المصير فتدعوهُ النظام من عصر يحيى الى الان لم يكتبوا قانوناً يو لا لهم شروا نظرةً انه لم يكن كاملاً وان هناك طرقاً اخرى ابعد غوراً واسعى حركة النظر الى الكون . فقد حاولوا ان ينظروا الى الكون في جملته واجزائاته واعتبروا على الشاهدة والاختبار يقودهم الى النهاية التي يتوخونها وهي الحق المجرد الحال

والظاهر ان هناك شيئاً من العلاقة والاتصال بين عقل الانسان وحقائق الطبيعة بل لقد ذهب بعض المفكرين الى ان نظرنا الى الكون وتعلمنا لنظام الطبيعي ليس الا من مبدعات العقل البشري وأن حقيقة الوجود على ما هي — من غير نظر الى رأي

المقل قهـاـ يحبـ ان تـقـ سـرـاـ مـلـقاـ، فـقـيقـ سـمـمـ بـرـنـابـ فيـ النـظـامـ الـيـكـائـيـ وـفـرـيقـ آـخـرـ  
يرـقـابـ فيـ النـغـاـيـةـ الـتـيـ وـجـدـ منـ اـجـلـهاـ  
انـ التـرـفـيقـ يـنـ هـذـنـ الـأـنـجـاهـ الـمـاـقـعـينـ وـالـتـوـحـيدـ هـنـهـاـ ثـمـ اـدـغـامـ اـرـأـيـ الـجـدـيدـ فيـ  
قـاـنـونـ حـامـ شـامـ يـحـبـ انـ يـكـونـ غـاـيـةـ الـفـلـسـفـةـ الـمـدـيـنـةـ وـغـاـيـةـ الـمـلـمـ الـحـدـيـثـ  
مـهـاـ ظـاهـرـ عـلـاهـ النـشـوـهـ بـعـدـ اـهـتـامـهـ بـالـابـ الـأـوـلـ وـوـحدـةـ الـكـوـنـ وـفـانـدـةـ اـنـشـوـهـ  
لاـ يـسـطـيـعـونـ انـ يـتـكـرـرـ اـنـ النـشـوـهـ لـيـسـ تـبـيـرـاـ فـقـطـ بلـ هوـ تـبـيـرـ يـصـبـحـ اـرـفـالـ  
وـالـأـنـوـاعـ زـرـقـيـ منـ أـشـكـالـ دـنـيـاـ اـلـىـ اـشـكـالـ عـلـاـ، هـذـاـ الـأـفـارـادـ يـوـجـبـ القـوـلـ بـاـنـ  
«ـ الـكـلـ »ـ سـارـ فيـ سـيـلـ اـنـتـدـمـ اـلـىـ كـارـيـهـاـيـ وـانـ مـرـاحـلـ هـذـاـ الـبـرـ لاـ يـمـكـنـ انـ تـخـلـوـ  
مـنـ الـقـصـدـ وـالـمـعـنـىـ

ولـكـنـ اـحـلـ الـأـنـوـاعـ لـاـرـالـ سـرـاـ غـامـضاـ، فـالـذـهـبـ الـقـدـيمـ الـفـانـيـ بـالـحـاقـ الـمـقـلـ اـيـ  
انـ كـلـ نـوـعـ مـنـ اـنـوـاعـ الـحـيـاـ خـلـقـ عـلـىـ حـدـدـةـ — لـيـسـ حـلـاـ هـذـهـ الـمـنـكـلـةـ الـفـلـسـفـةـ لـاـنـ  
طـرـيـقـ خـلـقـ هـذـهـ اـنـوـاعـ يـحـبـ انـ تـدـخـلـ فـيـ دـائـرـةـ الـبـحـثـ الـعـلـيـ، وـسـوـاـهـ كـانـ النـشـوـهـ  
الـضـرـيـعـ عـلـاـ مـتـصـلـاـ مـسـرـاـ بـادـتـ فـيـ اـنـوـاعـ وـاـمـفـرـضـ (ـ فـسـارـ فـيـ سـلـةـ اـنـشـوـهـ كـاـهـاـ  
حـلـقـاتـ مـفـقـودـةـ كـثـيـرـةـ) اوـ كـانـ هـذـهـ النـشـوـهـ يـمـ بـعـدـ ثـوـعـلـ خـلـانـيـ يـوـرـثـ لـلـإـجـيـالـ الـفـيـبةـ  
اـذـ كـانـ مـنـاسـاـ لـيـثـةـ مـسـاعـداـ عـلـىـ الـبـقاءـ (ـ وـعـلـىـ ذـلـكـ فـلـيـسـ فـيـ سـلـةـ النـشـوـهـ حـلـقـاتـ مـفـقـودـةـ)  
كـلـ هـذـهـ سـائـلـ لـاـرـالـ مـاـرـاـ لـلـجـدـالـ بـيـنـ الـأـحـدـيـنـ

فـالـبـحـثـ وـالـاـخـتـارـ يـدـلـانـ عـلـىـ اـنـ التـبـيـرـ وـالـورـاثـةـ وـالـتـكـيفـ وـنـقـقـ مـقـضـيـاتـ الـيـثـةـ وـتـازـعـ  
الـقـاـبـ، وـبـقـاءـ الـأـنـسـبـ فـيـ اـسـابـ النـشـوـهـ الـحـقـيـقـةـ، وـلـكـنـ كـيـفـ نـذـأـتـ وـجـوـهـ التـبـيـرـ فـيـ اـنـوـاعـ  
الـأـحـيـاءـ وـهـلـ التـكـيفـ لـمـقـضـيـاتـ الـيـثـةـ يـمـ بـسـيـعـ الـفـرـدـ اوـ بـالـجـوـوـلـ الـفـجـانـ الـذـيـ لـاـ حـكـمـ لـهـ  
عـلـيـهـ، وـهـلـ هـذـاـ مـبـداـ اـسـاسـيـ وـغـاـيـةـ لـسـلـةـ النـشـوـهـ؟ـ كـلـ هـذـهـ سـائـلـ لـاـرـالـ مـنـ خـيـرـ جـوـابـ  
فـلـكـيـ تـقـدـمـ، وـنـخـلـصـ مـنـ الـتـصـوـفـ الـعـقـمـ، لـاـ بـدـ لـنـاـ، وـلـخـنـ لـاـ غـلـكـ عـلـاـ رـاسـخـاـ  
بـهـذـهـ الـمـوـضـوعـاتـ، شـيـئـاـ مـنـ الـإـعـانـ — إـعـانـ فـيـ اـزـدـيـادـ قـيـمةـ الـوـجـوـدـ وـفـيـ مـقـدـرـةـ الـفـلـ  
الـبـشـرـيـ عـلـىـ تـقـيـمـ الـحـقـ الـمـجـرـدـ وـفـيـ فـانـدـةـ الـاـخـتـارـ كـرـائـدـ لـلـأـدـراكـ الـوـصـولـ إـلـىـ الـحـقـيـقـةـ

وـلـاـ اـرـيدـ اـنـ اـقـصـ لـقـظـ «ـ الـاـخـتـارـ»ـ عـلـىـ كـلـ الـاـدـلـةـ الـتـيـ تـقـعـ فـيـ دـائـرـةـ الـحـلـوـاـسـ فـقـطـ بلـ  
عـلـىـ مـاـ لـسـطـعـ اـمـتـاجـهـ بـوـحـيـ الـبـدـيـهـةـ وـبـالـنـظـرـاتـ الـتـيـ تـمـبـنـيـتـ تـلـقـيـ بـعـدـ مـاـ تـسـاعـدـنـاـ فـيـ  
الـكـثـيـرـ عـنـ حـقـيـقـةـ جـدـيـدـةـ، فـاتـاـ لـسـطـعـ اـنـ نـدـرـكـ الـأـجـسـامـ الـمـادـيـةـ بـالـاـخـتـارـ كـاـ لـسـطـعـ  
اـنـ نـدـرـكـ الـحـالـاتـ الـقـيـلـةـ، وـعـلـىـ اـنـ لـاـ نـهـلـ اـيـ جـانـبـ مـنـ قـوـيـ الـاـدـراكـ اـذـ اـرـدـنـاـ اـنـ  
قـيـمـ «ـ الـكـلـ»ـ فـيـ اـكـلـاـ